مقدمة

الظاهرة الصهيونية ظاهرة مركبة لها أبعاد كثيرة، فقد ظهرت كفكرة فى أوربا فى أواخر القرن السابع عشر، وتم بلورتها فى منتصف القرن التاسع عشر، ثم ترجمت نفسها فى البداية إلى المنظمة الصهيونية العالمية فى أواخر القرن التاسع عشر، ثم أخيرًا إلى الدولة الصهيونية فى منتصف القرن العشرين. وهى دولة توسعية ضمت كل أراضى فلسطين، وقامت بغزو لبنان وظلت تحقق الانتصارات العسكرية حتى عام ١٩٦٧، ثم بدأت تلحق بها الهزائم ابتداءً بمعركة الاستنزاف وانتهاءً بالانسحاب من جنوب لبنان مرورًا بهزيمة ١٩٧٣ والسقوط فى «المستنقع اللبنانى» على حد قول الصهاينة، وقد واجهت الصهيونية أشكالاً مختلفة من المقاومة العربية منذ عام ١٨٨٢ حتى الوقت الحاضر.

والصهيونية كحركة ودولة كان عليها التعامل مع جهات كثيرة: الاستعمار الغربى والدول الغربية (كى تنتقل الصهيونية من نطاق الفكرة إلى نطاق التطبيق)، ويهود شرق أوربا (كى يمكن نقلهم إلى فلسطين ليشكلوا المادة البشرية الاستيطانية)، ويهود العالم الغربى (كى يقوموا بدعم المستوطن الصهيونى). أما بالنسبة للفلسطينيين، أصحاب الأرض التى سيطبق عليها المشروع الصهيونى، فقد أعد لهم الصهاينة مخططًا للإبادة والطرد، وقد نجحت الصهيونية فى أن تتلون حسب الجهة التى تتوجه لها.

الظاهرة الصهيونية إذن ظاهرة متعددة الأبعاد، ومع هذا يميل كثير من الدارسين لهذه الظاهرة أن يتعاملوا معها على المستوى السياسى

وحسب دون التعرض لأبعادها الأخرى. وقد حاولنا فى هذا الكتاب أن نتناول بعض هذه الأبعاد التى عادةً - وليس دائمًا - ما تتجاوز البعدين السياسى والاقتصادى رغم أنها تلقى كثيرًا من الضوء على السلوك السياسى للصهاينة.

يتناول الفصل الأول (الديموجرافيا اليهودية) بعض الإشكاليات الخاصة بالديموجرافيا اليهودية سواء تعريف من هو اليهودى أو علاقة الأبعاد الديموجرافية بيهود شرق أوربا الصهيونية. ويقدم هذا الفصل أيضًا دراسة تاريخية مقارنة لبعض الإحصاءات تبين زيف الادعاء الصهيونى أن أعضاء الجماعات اليهودية فى شوق دائم للعودة إلى فلسطين. ويتناول الفصل الثانى (النبوءات الصهيونية) المزيد من الأوهام الصهيونية والنبوءات التى لم تتحقق، وهى تفوق فى عددها بمراحل بعض النبوءات التى تحققت. ويتناول الفصل الثالث (الاستعمار الاستيطانى الصهيونى) بعض جوانب هذا الاستعمار، خاصةً الحل الإمبريالى (الصهيونى) للمسألة اليهودية، وإدراك المستوطنين الصهاينة لطبيعة المقاومة الفلسطينية لهم.

ويتناول الفصلان الرابع (العنف الصهيونى) والخامس (الانتفاضة) المقاومة الفلسطينية والاستجابة الصهيونية لها، وكيف أن تصاعد العنف هو فى واقع الأمر تعبير عن اليأس وفقدان الاتجاه. ويتناول الفصل السادس (الهيكل) قضية الهيكل التى أثيرت مؤخرًا. فيشرح الفصل ما هو الهيكل ومكانته الحقيقية فى الوجدان اليهودى، ويشير إلى حقيقة طريفة غابت عن الكثيرين وهى أنه لا يوجد هيكل واحد وإنما عدة هياكل. ويختتم الفصل بالإشارة إلى المنظمات التى تسعى لإعادة بناء الهيكل. ويتناول الفصل السابع (انهيار إسرائيل من الداخل) هذه القضية الشائكة ويبين أبعاد التآكل الذى أصاب الكيان الصهيونى من الداخل، ومع هذا يؤكد

الفصل أن هذا التآكل لن يؤدى بـالضرورة إلى الانـهيار. أمـا الفصـل الثـامن والأخير (متفرقات) فيضم - كما يدل اسمه - بعض الدراساتْ المتفرقة ذات الدلالة المختلفة.

وقد نشرت هذه الدراسات فى جريدة الاتحاد (الإمارات) على مدار عـام تقريبًا، فأعدنا تصنيفها وترتيبها وكتابـة بعضـها، بحيـث ضم كـل فصـل مجموعة مقالات تتناول الجوانب المختلفة لموضوع واحد.

والله من وراء القصد.

د. عبد الوهاب المسيرى

دمنهور - القاهرة

ديسمبر ٢٠٠١